

الشخصية القومية وتأثرها بالبطل الأسطوري
دراسة تحليلية

د. فاروق أحمد مصطفى

تتناول الورقة أهمية البطل الأسطوري ودوره في تشكيل الشخصية القومية وذلك عن طريق عرض نماذج ثلاثة هي :

- البطل حورس فى مصر القديمة
- أبو زيد الهلالي فى الملحمة الشهيرة
- أسطورة النص نصيص من الدراسة الميدانية لمدينة العريش .

وتعنى الورقة بتوضيح كيف تأثرت الشخصية القومية الشعبية بهؤلاء الأبطال الأسطوريين وتنقسم الورقة إلى الموضوعات الرئيسية التالية :

- مقدمة توضح أهمية وأثر هذا الموضوع على الشخصية القومية الشعبية .
- منهج التحليل البنائى عند كل من ليفاستروسوآلانداندوس
- المفهومات الأساسية للورقة (الشخصية ، الشخصية القومية ، الملحمة ، الأسطورة الخ) .
- أهمية الملاحم والأساطير كثقافة وتاريخ ومدى الاعتماد عليها
- عرض تحليلى لأسطورة إيزيس وأوزوريس وتوضيح دور البطل حورس .
- عرض تحليلى لملاحمة أبي زيد الهلالي ، وعرض تحليلى لأسطورة البطل نص نصيص .
- أهم النتائج .
- أهم المراجع والهوامش .

(١)

ترتبط نظرية التحليل البنائي للأسطورة بليفى ستروس **Levi – Strauss** نظراً لإسهاماته الواضحة فى تطوير وتهذيب صيغ الأساطير . وأن اهتمامه أنصب على بناء الأسطورة وأهمل محتواها الاجتماعى والثقافى .

وتعتمد نظريته فى تحليل الأسطورة على إثبات وتوضيح معانى اللغة **Semantic** والأنساق اللفظية التي تتطلب بعض الإشارات التي تعد جزءاً من البناء الخاص بالأسطورة .

ويمر التحليل البنائي للأسطورة عند ليفى ستروس بخطوات تبدأ بالخطوة الأولى عند توضيح الوحدات الصغرى من الأسطورة والتي يطلق عليها مصطلح الميثيم **Mytheme** وهى تعتبر أصغر وحدة بنائية فى الحكاية الشعبية أو الأسطورة أو الملحمة وهى وحدة لها معنى فى مستوى التحليل المتعمق وهى مساوية للوحدة الكلامية " الفونيم **phenem** " ولها علاقاتها المحددة ووجودها المتميز لعلاقات تربطها بالموضوع ككل^(١)

ولكى نعطى مثلاً توضيحياً للتحليل البنائي للأساطير عند ستروس نعرض تحليله لأسطورة أوديب المشهورة حيث أوضح وجود وحدات جوهرية وضعها فى تقسيمها لرباعيات التالى : _

أولاً : يبحث كادموس عن أخته أوربا التي أغتصبها زيوس ، يتزوج أوديب أمه دون أن يعرف أنها أمه . تدفن أنتيجون أباها يوليس مع استخفافها بالتحريم .

ثانياً : يقتل الاسبرطيون بعضهم بعضاً ، يقتل أوديب والده لايبوس **Laios**، دون أن يعرف أنه والده ، يقتل أيتوكليس أخاه بولينيس **Polyince** .

ثالثاً : يقتل كادموس التنين ، يقتل أوديب الأسفنجس **Sphinex** .

رابعاً : لبداكواس **Labdacos** والد لايبوس كسيح ، لايبوس والد أوديب به انحناء إلى اليسار **Left side** ، أوديب منتفخ القدم .

هذه الأحداث الجوهرية للأسطورة ترتبط بمجموعة من العلاقات من السهل بعد هذا التحليل قراءة هذه الوحدات معاً. ولكن عند دراسة أهم العلاقات الاجتماعية نجد أن الوحدة البنائية الأولى تحدد علاقات الدم وكذلك الوحدة البنائية الثانية فضلاً عن علاقات الكراهية التي

تقع بين الاقارب ،أما الوحدة البنائية الثالثة فتحدد بعض الحيوانات أو المخلوقات الغريبة التي يجب التخلص منها و قتلها حتي تناح للإنسان فرصة الحياة وهي التنين،و الاسفنكس و غيرها أما الوحدة الرابعة فيراها ليفي ستروس أنها توضح الوصف للأبطال^(٢).

إذن فالتحليل البنائي يقوم حقيقة بتوضيح أجزاء الأسطورة وعلاقتها بعضها ببعض وتأثيرها المتشابه و علاقتها الداخلية و المكونة لمجموعة الوحدات الصغيرة المترابطة أو المترابطة و هذه المجموعة أو الحزمة أو التراكيب تختلف باختلاف المعايير و لا يتضح المعني البنائي العميق للأسطورة الا عند توضيح مجموعات العلاقات و تعد عملية توضيح و تعيين الأجزاء الصغرى في الأسطورة مهمة صعبة خصوصا عند دراسة ثقافة مغايرة لثقافتنا و بلغة مختلفة عن لغتنا كما و أن الوحدات الصغرى من الأسطورة الميثيمات **Mythemes** ليس لها معني بمفردها كالفونيمات **phonemes** الوحدات الصوتية التي لا تستمد معناها إلا من اللغة ككل فالبناء اللغوي هو الذي يعطي الأسطورة معني محدد كوسيلة من وسائل الاتصال.

وبالرغم من النقد الذي وجه الي ليفي ستروس الا أنه استطاع باستخدام التحليل البنائي للأسطورة أن يثير همم المهتمين بموضوع الأساطير في البحث عن الرواية الحقيقة للأسطورة أو الرواية الأولى وهذه المشكلة كانت إحدى العقبات التي اعترضت الدراسات الميثولوجية وتنبه الأذهان إلى ضرورة أن تأخذ عند التحليل البنائي كل الاختلافات المتعلقة بالأسطورة الواحدة في الروايات المختلفة ويشير ستروس فيه بأنه استعان بالترسيخ الفرويدي لأسطورة أوديب وأيضا استعان برواية سوفوكليس الشاعر اليوناني القديم نظراً لأنه لا يستطيع أن يصل إلى وضع صيغ بنائية صادقة إلا بعد الاطلاع على كل ما كتب عن الأسطورة.^(٣)

ويطبق آلان داندوس **A.Dundes** أما التحليل البنائي على مجموعة من الحكايات الشعبية عند الهنود الحمر الأمريكيين والتي كانت تعتبر في الماضي عديمة الملامح ولا شكل لها فاستطاع أن يقدم تصوره للنظرية البنائية من منظور فكري رحب وقد عرض داندوس إلى مجموعة من عناصر التحليل البنائي .

المجموعة الأولى :-

التحليل البنائي الرباعي ويعتمد على أربع موتيفات أساسية :

(أ) التحريم أو المنع **Interdiction** ورمزه (**Int**) .

(ب) الإنتهاك **Violation** ورمزه (**viol**) .

(ج) النتيجة **Consequence** ورمزها (**Conseq**) .

(د) محاولة الهرب **Attempted to escape** ورمزها (**A.E**) .

وأشار إلى أن الموتيف الرابعة يعد حيزاً بنائياً صغيراً يمكن أن يكتب اختيارياً أو إجبارياً فقد تنتهي الأسطورة بالنتيجة وإذا ما كانت هناك محاولة للهرب فإنها قد تنجح وقد تفشل ومحاولة الهرب تعتمد على الثقافة وعلى الراوي وقد قدم داندوس نماذج كثيرة لتحليله الرباعي البنائي نختار منها بإيجاز حكاية سوامبي كرى **Swampy Cree tale** .

أخبرت أخت أخاها الصغير ألا يطلق سهمه على السنجاب عندما يكون بالقرب من الماء .

(التحليل البنائي وهو تحريم ومنع " **Int** ")

لكن الولد أطلق سهمه على السنجاب بالقرب من الماء .

(التحليل البنائي هو انتهاك " **Viol** ")

وعندما أراد أن يسترد سهمه الذي سقط في الماء ابتعلته سمكة

(التحليل البنائي هو النتيجة " **consq** ")

في النهاية عامت السمكة للأخت التي أمسكت بها وفتحت بطنها وأخرجت أخاها منقذة له .

(التحليل البنائي محاولة الهرب " **A.E** ")

أما مجموعة آلانداندوس الثانية فقد استخدم فيها التحليل البنائي السداسي وعناصره هي :

١- افتقار أو احتياج **Lack** .

٢- التحويل **Liquidation of lack**

٣- التحريم أو المنع **Interdiction** .

٤- الانتهاك Violation

٥- النتيجة Consequence .

٦- محاولة الهرب Attempted to escape .

يحدد داندوس جدوى وأهمية التحليل البنائي للأساطير فيما يلي :-

أولاً: باستخدام التحليل البنائي يمكن الوصول إلى النماذج وملاحظة أوجه التشابه البنائي وتوضيحه . وقد لاحظ فان جينب Van genpe أن الأنماط البنائية العامة تميز اختلاف الشعائر في المحتويات المتباينة وأن تتابع النماذج في الانفصال والتحول والاندماج نجدها في شعائر الميلاد ، الحكاية والأسطورة والميلاد والزواج والموت ومن ثم فهناك أنماط بنائية عامة في الحكايات الشعبية في الأبنية الثقافية المختلفة يمكن أن نحددها ونبرزها .

ثانياً: التحليل البنائي هو وسيلة علمية جديدة تساعد في كسب القدرة على التعرف على المحتوى الثقافي الثابت والصيغ الثقافية المتغيرة وعن طريق تحديد الموتيفات البنائية في الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم ويمكن التعرف على وحداتها البنائية .

ثالثاً: يساعد التحليل البنائي على التنبؤ في عملية الاكتساب الثقافي ، فمعرفة بناء الأسطورة أو الحكاية الشعبية في أوروبا والأسطورة والحكاية الشعبية الهندية الأمريكية يساعد على التنبؤ بالتغيرات التي ستحدث عند استعارة نفس الحكاية الشعبية بمعرفة جماعات أخرى .

رابعاً: إن الإسهام المثير للتحليل البنائي يضع عند مقارنة المشاهد المجهولة والمختلفة ومقارنة العناصر الفولكلورية بعضاً ببعض وينتهي آلانداندوسفي دراسته إلى أن التحليل يؤدي إلى تحديد العبارات النمطية ووضعها وبالتالي فهمي تساعد الانثروبولوجي تحديد المحتوى الثقافي في وصف العوامل الثقافية المتغيرة ومحاولة مقارنة المشاهد المختلفة (٤) .

وفي الورقة المقدمة للمؤتمر نستخدم منهج التحليل البنائي عند كل من ليفي ستروس ، وآلانداندوسفي تحليلنا لنماذج الملاحم أو الأساطير الثلاثة التي أثرت في الشخصية القومية المصرية.

(٢)

يعد موضوع الشخصية **Personality** من الموضوعات الهامة التي تمثل مكاناً بارزاً في علم النفس الحديث ويشترك في دراستها علوم عدة بجانب علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا والطب النفسي وغيرها ويعرف " ألبرت **Allport** " الشخصية بأنها تنظيم دينامي داخلي للنظم النفسية الفيزيائية التي تحدد السلوك والتفكير المميز للشخص^(٥) .

ويرى مصطفى زيور عن هذا التعريف أنه يعبر عن موقف البورت من الشخصية ويوصفها تدرجاً هرمياً يبدأ من الفعل المنعكس فالعادة ، فالالاتجاه ، فالسمة فالذات ثم في النهاية الشخصية كما أنه يوضح موقفه من الوحدة النفسية الفيزيائية^(٦)

أما أستاختر **Stagner** فيعرف الشخصية بأنها نمط فريد من المدركات والدوافع المميزة للشخص . أنها ما يرغب الشخص فيه وأسلوبه في تحقيق هذا الذي يرغب فيه أنها التنظيم الداخلي للدوافع والانفعالات والمدركات والذكريات التي تقرر سلوك الشخص^(٧) .

وتختلف مدارس علم النفس فيما بينها بالنسبة لأبعاد الشخصية ومقوماتها ونموها وتطورها ووظائفها كما تختلف كذلك فيما يتعلق بمنهج البحث وأسلوب الدراسة ، على أن أبرز نظريات الشخصية وأكثرها ثراء هي التي تدين بوجودها للتحليل النفسي سواء في صورته التقليدية أو إضافاته المحدثة كما في دراسات الطابع وسيكولوجية الأنا ، فالتحليل النفسي ينظر إلى الشخصية من خلال التناول بين مكوناتها الثلاثة " الهو " و " الأنا " و " الأنا الأعلى " كما وأن دراسات الأنا جعلت من الممكن دراسة الشخصية السوية والإحاطة بوظائفها التكيفية والدفاعية والتوافقية وتشير معظم الاتجاهات الحديثة في علم النفس بأن الشخصية تعتمد على اكتساب العلاقة بالغير في مطلع الحياة في تكوين الشخصية بوصفها نتاجا ووسيلة لمواصلة هذه العلاقة والحفاظ عليها^(٨) وتهتم الأنثروبولوجيا اهتماما بالغا بدراسة الشخصية وبخاصة من حيث علاقاتها بالحضارة وترى أن الشخصية هي مجموعة من السمات النفسية الثابتة والمميزة للشخص ويشمل ذلك السمات التي سفرد بها وتميزه عن أفراد المجتمع فضلا عن تلك التي يشترك فيها معهم^(٩) .

أما موضوع الشخصية القومية **National Character** الذي يدرس سلوك الفرد من خلال المواقف الاجتماعية يرى مصطفى سوييف أن البناء الأساسي للشخصية هو ذلك القسط من نمط تنظيم الاتجاهات في الشخصية لدى أبناء مجتمع واحد نتيجة لتشابه عمليات التطبيع التي

تنصب على أطفال ذلك المجتمع وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالطابع القومي للشخصية والشخصية المنوالية وهما يتضمنان التسليم بأن المجتمع المحيط بالفرد هو الأمة^(١٠)

" مصطلح الشخصية القومية يستخدم إذن لوصف الشخصيات التي تتميز بالثبات مع أنماط الحياة المتفردة التي توجد عند شعوب مختلفة أو داخل قومية واحدة وهذا السلوك في بعض الأحيان يكون سلوكاً مجرداً وهو سلوك ثقافي ويرجع لاختلاف أنماط الشخصية المتباينة والتي تحددها الميكانيزمات السيكلوجية لشخصية الشعب^(١١).

ويوضح مصطفى سويف أن دراسة الطابع القومي للشخصية تعني دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعاً في أى مجتمع للوصول إلى تقديم صورة مؤلفة من هذه السمات تسمى الشخصية المنوالية **Modal personality** وأن مفهوم الشخصية القومية يستند في قيامه إلى وجود حد أدنى من التشابه في عمليات التكيف الأساسية التي تتم لدى أبناء القومية الواحدة نتيجة لتوفر درجة من التشابه بين الشروط البيئية التي تواجه المجتمع على أن هذا التشابه قد يتضاءل في الشروط البيئية أو يتضخم تبعاً لعدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وجغرافية وسيكلوجية وبالتالي يتضاءل ذلك القدر من التشابه في عمليات التكيف المترتب عليها وهكذا يصعب أحياناً تحديد معالم الطابع القومي للشخصية وأحياناً أخرى يكون ميسوراً نسبياً^(١٢)

وترى سامية الساعاتفي كتابها بعنوان الثقافة والشخصية بأن الشخصية القومية هي ذلك الجانب من الشخصية الذي يرجع إلى عضوية الفرد في قومية معينة أو هي ذلك النمط من الخصائص السلوكية الذي يميز أبناء قومية ما من أبناء القوميات الأخرى ويكون هذا النمط على درجة واضحة من الاستقرار لكنه في الوقت نفسه يرتبط بالخصائص الكبرى للمرحلة التاريخية التي تمر بها الجماعة القومية^(١٣)

أما أحمد زايد يرى أن مفهوم الشخصية القومية أو الطابع القومي يستخدم لوصف الخصائص الثابتة للشخصية وأساليب الحياة المميزة التي توحد لدى سكان دولة قومية معينة^(١٤) ومن ثم نجد أن الشخصية القومية أو الطابع القومي يمثل السمات الغالبة في شخصيات الأفراد والاستجابات المقننة التي يمكن توقعها من السمات الغالبة في أكبر عدد من الأفراد وقلما يشذ عن هذه السمات إلا القلة من الأفراد .

ويرى بعض الأثروبولوجيين والفولكلوريين أن الحكايات الشعبية يمكن أن تضم بعض الخوارق **Legends** و الأساطير **myths** وقد يستخدم البعض مصطلح الأساطير للدلالة عليها معاً إلا أنه يجب أن نفرق بينهما على أساس أن **Legends** هي قصص الخوارق تتناول أحداث خارقة للعادة بينما الأسطورة **myth** هالتى ترتبط بالشعائر والمعتقدات الدينية كما استخدمها مالىنوفسكى .

ونجد أن لسان العرب ذكر الأساطير والأباطيل ، الأساطير أحاديث لا نظام لها ووحدتها أسطار واسطورة بالكسر واسطير واسطورة واسطور وأسطورة بالضم وجاء أيضاً أن أساطير الأولين ما سطره الأولون وما أشبهها بكلمة هستوريا وتدلان معاً على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ وتدلان أيضاً على ما كتبه الأقدمون أو تركوه من روايات وحكايات وهى فى الأغلب أحداث خارقة للعادة وأباطيل قد وردت فى القرآن الكريم بهذا المعنى أكثر من مرة^(١٥)

ويتميز تقسيم مالىنوفسكى للحكايات الشعبية التى يتداولها الناس إلى عدة أنواع بالدقة فقد قسم الحكايات إلى حكايات الوقائع التاريخية وهى وقائع أو روايات حدثت فعلاً وينقلها الراوي رآها فعلاً أو نقلها عن راو آخر ومنها قصص يفصلها الراوي الشروى بدون أن يرى وقائعها أو يتناقلها الناس ويصفون منها ما حدث لرجال القبيلة فى أجيالها المختلفة وما صادفوه من تجارب وما صنعوه من حكم وتمثل هذه القصص الخوارق ، وهناك نوع آخر يتعلق بالقصص التى سمعها الراوي ولكنها تتعلق فى الغالب فى عصور تاريخية سحيقة وهذه الأنواع الثلاثة وهى الوقائع التاريخية والأساطير والقصص التى سمعها الراوي عن مجتمعات الزمن السحيق تدخل فى نطاق الأساطير الدينية **Myth** التى يغلب عليها طابع غيسلاهوتى وذلك فى دراسته المتميزة عن الأسطورة فى علم النفس البدائى والأساطير العلمانية تدور فى الغالب حول الإنسان فى حين تدور الأساطير الدينية حول الجن والآلهة وعالم ما بعد الطبيعة وقد يكون للإنسان شأن فيها ولكن المهم أن يغلب عليها الطابع الروحى وهذا ما يميز الأسطورة عن الخرافة أو الأسطورة العلمانية عن الأساطير اللاهوتية^(١٦) .

ويوضح ريتشارد دروسون **R.Dorson** قصص الخوارق **Legends** بأنها تعنى رواية براءة مبالغ فيها تصف حادثاً معيناً وهى تختلف عن الحقيقة التاريخية ولا يهتم بها المؤرخون وينظر

الفولكلورى إلى الأسطورة باهتمام شديد لأنها من المقومات الأساسية لموضوعه الرئيسى وهى نوع من السرد التقليدى الشفاهى يعتقد الراوى وأعضاء المجتمع الذى تدور أحداث الحكاية الخارقة فيها بأنها حكاية صادقة وقد تنطوى على عناصر خارقة^(١٧).

وتتعلق قصص الخوارق بالأشخاص والأماكن والأحداث لأنه يفهم من مظاهرها أنها تاريخية وواقعية ويجب أن تقترب من ذهن المجتمع المحلى بشخص معروف أو معالم إيكولوجية وجغرافية أو حادث معين وأعضاء المجتمع قد سمعوا الموضوع المتوارث ويمكنهم تذكره بإيجاز أو إسهاب وهذا فى الواقع أحد الاختبارات الأساسية لقصص الخوارق وهو أن تكون معروفة لعدد من الناس فى منطقة معينة تتناقل فيما بينهم ويتم توارثها وقد تكون القصة الخارقة لسياسي مشهور أو شخص مغمور غريب الأطوار أو أحد الظرفاء أو ترتبط بالبطولة والأبطال أو بالأشخاص والأماكن المقدسة .

كما قد تكون قصص الخوارق شعرية أو نثرية وقد يمر بها ناظمها فى القرى كما هو الحال فى قرانا المصرية حيث ينظم الشاعر قصة أبى زيد الهلالي سلامة أو قصة الزير سالم أو عزيزة ويونس أو غيرها^(١٨).

ويتناول هوك **Hooke** أساطير الشرق الأوسط بالدراسة وهو يرى أن الأسطورة نتاج التخيل والتصور الإنسانى الذى ينبع من مواقف معينة وهى تقول شيئا دائما يجب أن نبحث كمتخصصين عنه ولا يجب أن نبحث فى مدى صدقها أو حقيقتها . وقد قسم هوك الأساطير إلى أساطير دينية وأساطير عن أصل الأشياء وأساطير تتعلق بالعبادة وأساطير المكانة وأساطير ما بعد الحياة كما حدد طريقتين لانتشار الأساطير ، أما عن طريق الاحتكاك الثقافى والانتقال إلى الآخر، وإما عن طريق النشأة المستقلة التى تقوم على التخيل الناتج عن مواقف معينة وقد كان السفر والحركات التجارية أو المهاجرين من الناس وللغزاة أكبر الأثر فى انتقال الأسطورة من قطر إلى آخر^(١٩).

وفى رأينا أن الحكايات الشعبية سواء أكانت حقيقية أو خرافة أسطورية فهى تقدم أقدم مظهر من مظاهر التاريخ وأول صورة للإنسان وهى تعنى بالنفس البشرية وتهتم بالتعبير عن جوانب الحياة المختلفة وهى ليست ملك خالص لأمه بعينها ولكنها ملك للحضارات الإنسانية يؤثر بعضها بعضاً وأنها ترتبط بتراث الإنسانية .

* * * *

والملمحة **Epic** وهى قصيدة لها أسلوبها المميز والتي تدور فى الأغلب حول بطل أسطورى وتروى إنجازاته وبطولاته وتحدث عن تاريخ الأسلاف ، والقوى فوق الطبيعة **Supernatural force** التي يملكونها ، ونجد أن أكثر الشعوب البدائية لها ملاحم تروى مع الموسيقى والغناء وتكون فى العادة طويلة جدا وقد تستمر روايتها أياما وليالي^(٢٠).

ويرى أحمد أبو زيد بأن الملاحم أعظم ما يمكن لروح الإنسان أن تبذعه ، كما أنها لم تمنع العلماء في الغرب أن يعطوا الملاحم الشيء الكثير من العناية والاهتمام وأن يقبلوا على ترجمتها من لغاتها الأصلية إلى اللغات الأوروبية الحديثة المختلفة وأن يعكفوا على دراستها ويطبقوا في ذلك أحدث نظريات البحث والنقد وأساليب الدراسة والتفسير والتحليل التي تستعين بنتائج العلوم الأخرى دون أن تظهر بينهم مثل تلك النعرات والدعوات التي نجدها في معظم بلاد العالم الثالث والتي تتساءل عن الحكمة من دراسة التراث القديم وجدوى هذه الدراسات الإنسانية في العصر ومع ذلك فلا تزال كلمة ملحمة غامضة في كثير من الأذهان ، وأن الرأي السائد يشير إلى القصيدة الشعرية القصصية الطويلة والتي تسجل الأعمال البطولية الخارقة التي صدرت عن بعض الأبطال الحقيقيين أو الأسطوريين والتي تمتزج فيها أفعال البشر أو تصرفات بعض الكائنات الإعجازية الخفية كالآلهة والمردة والشياطين والوحوش المخيفة المهولة بل أيضاً بعض القوى الكونية والظواهر الطبيعية التي تقوم بدور مساعد ولكنه فعال في إنجاز هذه الأعمال البطولية . إلا أننا نجد ميلاً واضحاً فبعض الكتابات الحديثة إلى إطلاق كلمة ملحمة " على بعض الأعمال الروائية الكبرى مثل رواية توليستوى الحرب والسلام . وبذلك فإن كلمة ملحمة لم يعد استخدامها مقصوراً على روائع الأعمال الشعرية القصصية الضخمة التي عرفت في العصور الكلاسيكية القديمة في الشرق والغرب على السواء بل أن استخدامها يشمل ما يعرف الآن باسم الشعر الملحمة الحديث بل أيضاً المسرح الملحمة **EPICTheater**^(٢١) وإذا ما رجعنا إلى دوائر الأدب المتخصصة نجد أن المقصود بمفهوم الملحمة **Epic** وهو القصيدة القصصية الطويلة التي تحكم أعمال البطولة التي تصدر في العادة عن بطل رئيسي واحد والتي كثيراً ما يكون هو بطولى فيتجاوز قدرات البشر ويجمع بين الروعة والعظمة والجلال^(٢٢).

(٣)

إن الحكايات الشعبية سواء أكانت حقيقية أو خرافية أسطورية أو ملحمة فهي تعد أقدم مظهر من مظاهر التاريخ وأول صورة للإنسان وهي تعنى بالنفس البشرية وتهتم بالتعبير عن جوانب الحياة المختلفة . والحكايات الشعبية والأساطير ليست ملك خالص لأمة بعينها ولكنها ملك للحضارات الإنسانية يؤثر بعضها بعضاً وأنها ترتبط بتراث الإنسانية^(٢٣) ويمكن أن نبرز ستة اتجاهات رئيسية من دراسة جان فانزينا **J. Vansina** لكثير من الكتابات التي تناولت التراث الثقافي وبصفة خاصة الأساطير .

- يرى البعض أن التراث الثقافي الشفاهي لا يمكن الثقة فيه .
- أن التراث الثقافي قد يحتوي على بعض الصدق .
- أنه من الصعب معرفة درجة الصدق وكميته في التراث الشفاهي .
- ضرورة دراسة وفحص كل العوامل التي تؤثر في صدق التراث .
- أن الثقة والتعويل على المصادر يجب أن يتم فحصها وفق القواعد المنهجية والتاريخية .
- أن التراث الشفاهي قد يحتوي على لب الحقيقة التاريخية^(٢٤) .

أما روبرت لوى **R. Lowie** فإنه على الرغم من رأيه للتراث الشفاهي بأنه سابق على كل حقيقة تاريخية ، إلا أنه ذكر أنه لا يمكن أن يلحق أى حقيقة تاريخية للتراث الشفاهي تحت أى ظروف وانتقل كل من ديكسون **R. B. Dixon** وسوانتون **J. K. Swanton** اللذان عبرا عن ثقتهما في المعلومات التي تساق من التراث الشعبي^(٢٥) .

ومن الكتاب الأنثروبولوجيين الذين يدافعون عن أهمية التراث الشفاهي كمصدر تاريخي نجد سايبير **E. Sapir** وتيت **D. Tait** وهؤلاء يرون أن التراث الشعبي وعلى وجه الخصوص الحكايات الشعبية والأساطير تحتوى فى الواقع على معلومات يمكن الوثوق فيها ومثل هذه المعلومات تتلخص فى معلومات عن أصل القبائل وقد أوضح جولدن فايزر **Golden Weiser** أنه على الأنثروبولوجي أن يتابع التراث حتى يتمكن من الحصول على مادة أكثر كما يمكن أن تكون لهذه المادة قيمة أكثر وضوحاً وذلك فى غياب السجلات المكتوبة .

كما أوضح ساير ثقته في التراث وأشار إلى أن تراث الهنود الحمر مثل قبائل البيلو Pueblo والناهولت Nahault وغيرها يمكن الاعتماد على تراثها خصوصاً وأنه يحتوى على معلومات عن الهجرات وحركة القبائل والقوافل .

وقد انتقد كل من هيرسكوفيتز وفولر من وجهة نظر ساير في أن التراث الشفاهي يمكن أن يكون " حلقة تاريخية " ولكنهما أشار إلى ضرورة مادة التراث على المصادر التاريخية الأخرى أو على اللغة والشواهد الأثنوجرافية وهناك مجموعة أخرى من الكتاب تضم جراير . F Grabier وشميدت W. Shmidt وفان بلك G . Van Bulck الذين حاولوا أن يوفقوا بين الآراء السابقة فذكروا أنه من الصعب أن نقرر أن التراث الشفاهي محل ثقة أو أنه ليس كذلك لأنه لا يمكن البرهنة على صدق التراث أو عدمه إلا إذا كانت هناك مقاييس نقيس بها الحقائق بالأماكن والدراسات التاريخية والثقافية^(٢٦) .

وقد أشار بعض الاثنولوجيين أن التراث يحمل معلومات عن الأحداث حتى لو أن لب الحقيقة التاريخية كانت مغلفة بالخرافات كما انه لا يمكن أن نذكر أن الحكايات التاريخية الشعبية تحمل في طياتها أسماء الأسلاف والأزمنة والأماكن والوسائل المستخدمة وأسماء القبائل والمواقف العامة التي توصف في الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم .

ويرى باير H. U.Beier أن التراث مصدراً أساسياً لمعرفة تاريخ التفكير الفلسفي والفكري لشعب معين وأنه عن طريق دراسة أساطير اليوروبا استطعنا ان نعرف أسلافهم والمعلومات التاريخية الكثيرة عن الشعب وأنهم كانوا من الشعوب العسكرية ولم يكونوا زراعيين كما هو واضح من نشاطهم الآن^(٢٧)

أشار مالمينوسكي إلى أن النظرية التاريخية التي ترى ان الأسطورة حكاية مقدسة حقيقية تاريخياً ، ومع عدم الإنكار لأثر التاريخ في الإنجازات الثقافية وتأثيره على الأساطير والحكايات لكنه يؤكد انه من الصعوبة بمكان تتبع كل الأساطير تاريخياً وتم تحليله لأساطير التروبرياند أنها ليست مجرد قصة خيالية وإنما هي حقيقة حين يعتقد في صدقها وأنها حدثت في يوم من الايام وتستمر وتؤثر في الحياة اليومية كما أنها تحقق الحاجات الدينية العميقة وتوضح التوسلات والقيم الأخلاقية والموافقة الاجتماعية في السلوك وتحقق أيضاً وظيفة ضرورية وترقى بالاعتقاد وتقوي الأخلاق وتؤكد الشعائر وتحتوي على القواعد العملية في المحافظة على الإنسان^(٢٨) .

ويرى أحمد أبو زيد ان المشكلة الحقيقية التي تواجه الباحث الأنثروبولوجي الذي يهتم بدراسة الملاحم وغيرها من أشكال الإبداع الأولى والفن القديم هي إلى أي حد يمكن اعتبار الملحمة سجلاً ليس فقط سجلاً لأحداث تاريخية حقيقية قام بها أشخاص حقيقيون ولكن أيضاً سجلاً للثقافة والنظم والأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي انتج تلك الملحمة وأن الباحث قلما يستعرض إلى أن الملاحم تسجل بدقة وقائع الحياة الاجتماعية أو تعبر عن المبادئ التي توجه الثقافة وتتحكم في العلاقات بين الناس ويعطي مثلاً لذلك من كتاب الأستاذ جيلبرت مري **Gilbert Murray** عن نشأة الملحمة الإغريقية **the Rise of Greek Epic** فيشير المؤلف بكثير من التفاصيل والدقة عن الظروف والأوضاع الإيكولوجية والاجتماعية والثقافية والديموجرافية العامة في بلاد الإغريق بوجه عام ثم يعرض للظروف والملابسات التي أحاطت بنشأة الإلياذة والأوديسا ولكنه لا يلبث أن يشير إلى أن قصائد الإلياذة تمثل ماضياً مثالياً **Idealized past** وأنها أقرب إلى روح هوميروس أو حسب تعبيره أكثر هوميرية من الأوديسا وذلك على الرغم من أنها خضعت لكثير من عمليات المراجعة والنهذيب بكل لم يحدث للأوديسا فالمحمة إذن في نظره تعطينا صورة مثالية عن الماضي، أي الماضي الذي لم يتحقق أبداً في الواقع والذي يعبر عنه الشاعر بطريقة رومانسية بحيث يجعل أشخاص الملحمة يتحدثون بلغة لم يكن الناس العاديون يتكلمون بها في حياتهم اليومية ويتصرفون بطريقة لا تمت بصلة إلى السلوك العادي المألوف " تلك الأيام التي كان البطل فيها بطلاً حقيقياً وكانت الأميرة أميرة حقاً"

وعلى العكس من ذلك يذهب سير موريس باور **M.C.Bowr** إلى أن الناس أنفسهم يتقبلون " الشعر البطولي" - بما في ذلك الملاحم على علته ويعتقدون أن الأحداث التي ورد ذكرها في تلك الملاحم وقعت بحذافيرها فعلاً وانها بذلك تعتبر سجلاً أميناً ودقيقاً لذلك الماضي الذي تشير إليه بل أنهم كثيراً ما يستشهدون بتلك الأحداث ويستشهدون بها في حل كثير من الأمور التي تعرض لهم في حياتهم ، مثل المشكلات المتعلقة بالأرض وعلاقات النسب والمصاهرة والانحدار من الأسلاف والأجداد المعينين وذلك بالرجوع إلى ما قد يكون في تلك الأشعار من إشارات إلى هذه المسائل والتحليل الأنثروبولوجي للمحمة وأحداثها تتطلب ضرورة التمييز بين الواقع والخيال ورسم الحدود الفاصلة بين الاثنين حتى يمكن تعرف مكونات الثقافة ومقومات النظم والعلاقات الاجتماعية التي تسجلها الملحمة أو على الأقل الخروج منها بصورة

معقولة عن هذه النظم والأوضاع والعلاقات ومع ذلك فقد تسجل بعض الملاحم أحداثاً أغفلها التاريخ وكادت تمحي من الذاكرة أو لم تهتم كتب التاريخ المتخصصة بتسجيلها لسبب من الأسباب (٢٩)

ومما يجدر الإشارة إليه هو رأي مالينوفسكي إلى أهمية الأساطير كعامل ثقافي وأن الحكاية الشعبية لها جوانبها الأدبية التي لا يجب إهمالها فهي تحمل في طياتها العناصر الأولية للملاحم والسير الشعبية الشعرية وانه من الضروري البحث عن الوظيفة الثقافية للحكايات الشعبية والأساطير ومعرفة العلاقات الوثيقة بين المعتقدات والشعائر والتراث لأن معرفتها تساعد في فهم آداب البدائيين مع ضرورة إعطاء اهتمام خاص للمحتوى الاجتماعي والثقافي في حياة المجتمع والجماعات الإنسانية وعلى ألا يتوقف دورنا في مجرد إبراز الأفكار والانفعالات والرغبات التي تتناولها الحكاية بل من الضروري إبراز العادات وقواعد الأخلاق والممارسات الشعائرية وكلها يمكن أن تكون محتملة في الحكاية ويكون لها وجود ظاهراً وواضحاً

فالحكايات الشعبية والأساطير تحقق وظيفة هامة هي الاتصال المستمر مع التراث ومعرفة طبيعته الاستمرارية كما توضح الأنماط الأخلاقية والقيم والنظم الاجتماعية والمعتقدات وباختصار فهي ضرورية جوهرية لكل الثقافة (٣٠)

(٤)

نتناول في هذا الجزء من الورقة عرضاً لأسطورة قديمة وهي أسطورة أوزوريس والجزء الذي يهمننا منها هو الجزء الأخير من الأسطورة وهو خاص بانتقام حورس من عمه ست واسترداد عرش أبيه وسمي " بالبطل الذي استرد عرش أبيه"

ووفقاً لنصوص الأهرام تجري الأسطورة كما يلي (قتل الملك أوزوريس بيد أخيه ست ، وعمدت إيزيس ونفتيس أختا أوزوريس إلى البحث عن الجسد حيث وجدته وأعادته إيزيس أوزوريس إلى الحياة مؤقتاً حتى يولدها طفلاً ثم كان أن ولد حورس وأرضعته واستطاع أن يتغلب حورس وهو طفل على ثعبان ضخم ثم بلغ مرحلة الرجولة عن طريق شعيرة تركز على رباط حزامه أدتها إيزيس ثم خرج ليرى أباه فوجد بطبيعة الحال 150- 1314 py. (٣١) وهذه الأسطورة لها مصادر كثيرة أخرى وتفصيل كثيرة أيضاً ولكن الجانب الأسطوري الذي يهمننا هنا هو انه عندما كبر الابن حورس حاول أن يسترد عرش والده من عمه المغتصب ووقف حورس بسفينته في عرض النهر مستعداً للنزال ممسكاً حرباً طويلة سددها إلى عمه ست وبعد قليل فقد تقمص ست جسد فرس ضخم من أفراس النهر وأخذ يصدم السفينة بشدة ليغرقها واستطاع حورس أن يعالجه بضربة قاضية اخترقت رأسه فمات وأقام حورس دولة موحدة وأطلق عليه البطل المنتقم لأبيه" (٣٢)

- يمكن أن نستنبط من الأسطورة السابقة:

- ١- وجود الأساطير في أي مجتمع من المجتمعات يرجع إلى الاعتقاد أن القوى الروحية الخارقة وتختلف درجة الاعتقاد من مجتمع إلى آخر وفي أسطورتنا نجد ان الاعتقاد تمثل في قوة إيزيس على أحياء أوزوريس بعد موته إنجابها لحورس وضع شعيرة على رباط حزامه.
- ٢- الخبرات الخاصة بالأساطير خبرات مبهمة وغير واضحة ولكنها خبرات عامة وتحتل مركزاً هاماً في الأفكار الدينية في المجتمع
- ٣- الأساطير قصص حقيقية عن القوى الخارقة الإعجازية وتتعلق بخبرات الجماعات وعلاقتهم بعضهم البعض

٤ - المظهر الظاهري (السطحي) للأسطورة يجب ألا يخفي الخبرات الخاصة المتممقة في الأسطورة فهي أساس النظام الاجتماعي ونسق الأدوار الاجتماعية وعلاقة الأفراد بعضهم البعض (٣٣)

أن أسطورة حورس التي أوجدها التطور الأسطوري المصري والذي حاول به أن يفسر الاعتبارات البشرية شخصاً أو حادثاً أو جماعة من الأشخاص تبدو منتمية إلى العالم الإلهي التي تشتمل عبارته على ما لا يمكن تفسيره مباشرة بالعقل البشري والإدراك الحسي ولو بدا إنه موجود ومن الطبيعي أن كل الكائنات التي يمكن إدراكها وشرحها مباشرة في زماننا كالسما والشمس قد كانت تنتمي إلى العالم الإلهي في عقل المصريين الأقدمين، فالإله قد أنجب " جب وتوت السماء والأرض" ورفع توت عن جب ففصل السماء عن الأرض ثم قام نزاع على المملكة في مصر بين أبناء جب وتوت فقتل ست الملك أوزوريس وأخذ عرشه حتى شب حورس ابن أوزوريس وإيزيس وحارب عمه ست ثم أعلن من قبل محكمة هليوبوليسأنه الملك الحق ووريث أوزوريس (٣٤)

وبالنسبة لبطل الأسطورة المصرية القديمة حورس فلم يعتبره المصريون القدماء مجرد فرد من البشر وإنما هو إله يتم عبادته في الأسطورة في الواقع تتعرض لخبرة المصريين القدماء ولتصورهم لشخصية حورس فهو إله وابن إله ولديه قدرات خاصة فوق قدرة البشر الآخرين وهذه القوى خارقة وإعجازية يؤمن بها المصريين وإن الإيمان بقدرة حورس في مصر القديمة لا يمكن فصله عن نسق المعتقدات الموجود بل نجد جانباً كبيراً من هذا النسق يصل إلى ما لهذه القصص والأساطير من مكانة فالاعتقاد وفيها وفي حقيقتها يبلغ درجة كبيرة في الوهلة الأولى في هذه الأسطورة نجد المساعدة والتي قدمتها إيزيس لكل من أوزوريس وحورس باعتبارها بالنسبة للأول زوجته وللتالي أمه ولكنها بالنسبة للمصريين لم تكن امرأة عادية إنما هي إلهة تقدم يد العون المساعدة إلا أنه في الواقع نجد علاقات مساعدة الرجل للمرأة تنضح إذا ما عرفنا أن انتقام حورس من عمه ست كان بإيعاز من إيزيس وأنه قد تم تحقيقاً لرغبتها في الانتقام لمقتل زوجها وهذا يؤكد نوع العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة منذ أقدم العصور علاقات متبادلة بين مساعدة الرجل للمرأة ومساعدتها له.

ومما لا شك فيه إنأوزوريس والشعائر المصرية القديمة وجهان لشيء واحد هو العبادة المصرية عبادة أوزوريس وعبادة حورس التي كانت سائدة في مصر القديمة لفترات طويلة من الزمن استمرت حتى مع بداية انتشار المسيحية في مصر بالإضافة إلى المعنى الظاهر في الأسطورة وإقدام حورس على قتل عمه ست ألا ان حورس نفسه يعد رمزاً للخير وعمه ست رمزاً للشر والخير

دائماً ينتصر على الشر وقد استطاع الشر أن يتشكل في صورة فرس النهر المزيف مما يؤكد أن ست " يمثل الشر" وإذا نظرنا في التاريخ نجد أن شخصية ست قد أطلقت على الهكسوس وأطلقت على الآشوريين والفرس الغزاة

ومما يجدر الإشارة إليه ان هناك أسطورة سجلت على جدران معبد حورس في عهد البطالمة بأدفو بمصر العليا تصف حورس بأنه الملك الظافر الذي تغلب من أجل رع على ست وأتباعه في مصر وأجلاهم إلى آسيا وقد تأثرت هذه الرواية الأسطورية بذكرات الغزو الأجنبي المصري^(٣٥) أن البطل الأسطوري أو البطل الشعبي أو البطل الذي له صفات وقدرات خاصة فحورس هذا البطل الشعبي المنتصر الذي يستطيع أن يأتي بالمعجزات لأنه يتمتع بهذه القوة الخارقة التي لا يتم بها سواه أنه صورة لبطل ملحمي وهذا ما يؤكد مالينوفسكي في قوله " أن الأسطورة تحتوي على بذور ملحمة المستقبل وبذور القصة والمسرحية وكثير من الأعمال الفنية الأخرى" ^(٣٦)

وفي تحليلنا لأسطورة إيزيس وأوزوريس وحورس تحليلاً بنائياً عند ليفي استروس والذي يعتمد على تحديد المبيثمات في الأسطورة والتي يمكن تحديدها:

- أعد " ست" تابوتاً ذهبياً بمقياس أوزوريس ويعد لمن يكون مفاسه فهو له.
- يدخل أوزوريس التابوت فيطلب ست من أتباعه قتله ويستولى على العرش.
- تقوم إيزيس ونفتيس أختاً أوزوريس بالبحث عنه حتى وجداه
- تهب إيزيس الحياة لأوزوريس ليولدها طفلاً.
- تلد إيزيس حورس وتقوم على رضاعته وتربيته
- يقتل حورس عندما كان صغيراً ثعباناً ضخماً.
- عندما يكبر حورس ويعرف من أمه إيزيس ما فعله ست بأبيه
- يتم صراع في النيل بين حورس وست الذي يتحول إلى فرس نهر ويستطيع حورس قتله ويسترد حورس عرش أبيه ويكون ملكاً تحت اسم البطل الذي استرد عرش أبيه.

التحليل بالأعمدة عند ليفي استروس

العمود الأول	العمود الثاني	العمود الثالث	العمود الرابع
علاقات القرابة	علاقات العداة	الوحوش المفترسة	الوصف
علاقات إيزيس وأوزوريس " الزوج والزوجة علاقة إيزيس ونفتيس " علاقات الأختين " علاقات إيزيس وأوزوريس وهورس علاقات الأم والأب والابن	إيزيس وست علاقة عداة بين أخ قتل أخاه. حورس وست علاقة الانتقام واسترداد العرش	قتل حورس ثعباناً ضخم هو صغير. قتل حورس فرس النهر " ست " وهو كبير	التابوت صنع من الذهب الخالص حورس تحلي بالشجاعة وهو صغير " الثعبان " ضخم حورس تحلي بالشجاعة وهو كبير فقتل فرس النهر المخيف

يعتمد التحليل البنائي السداسي عند آلاناندوس على عناصر أساسية هي:

(١) الافتقار أو الاحتياج (٢) التحويل

(٣) التحريم أو المنع (٤) الانتهاك

(٥) النتيجة (٦) محاولة الهرب

تحليل أسطورة أوزوريس في ضوء التحليل السداسي

أسطورة أوزوريس	الموتيمات البنائية
تحاول إيزيس ان تعيد لأوزوريس الحياة لأنها في حاجة إليه	الافتقار
استطاعت ان تعيد إليه الحياة وانجبها طفلاً " حورس "	التحول
قتل ست لأخيه أوزوريس	المنع أو التحريم
انتهك ست علاقات الأخوة والقراية من الدرجة الأولى	الانتهاك
قتل حورس ست	النتيجة
حاول ست الهرب عندما تحول إلى فرس نهر ولكنه لم يستطيع	محاولة الهرب

(٥)

أما النموذج الثاني فهو لملحمة أبي زيد الهلالي وعرضها لأهميتها في أثر البطل الملحمي أبو زيد الهلالي وتأثيره في الشخصية المصرية وخصوصاً في جنوب مصر حيث أن هذه الملحمة ما زالت يرددتها معظم شعراء السيرة الهلالية وكذلك المنشدون والفجر في الموالد وفي المناسبات الأخرى في قنا وفي الأقصر وقوص وغيرها ونعتمد على السيرة الهلالية التي جمعها عبد الرحمن الأبنودي (٣٣) ونستخلص منها ما تمتع به أبو زيد من شجاعة وهو صغير وانتصاراته الكبيرة في الحرب.

كانت مأساة رزق بن نايل جرامون بن عامر بن هلال قائد الهلالية وفارسهم وأميرهم أنه بلغ من العمر عتياً دون أن يرزقه الله الابن الصالح الذي يخلف أباه في قيادة جيش قبائل الحلف الهلالي ويرث السيف والاسم.

- جاء له هاتف من السماء يهتف به (يا رزق إذا كنت تريد الإنجاب فتزوج من أرض الحجاز) وقص رزق حادثته مع الهاتف إلى ابن عمه (سرحان) سلطان بني هلال فطلب منه الخروج إلى الحج لعل الله يوفقه على العثور على الزوجة الصالحة التي قد يتحقق على يديها ما فشلت فيه كل من تزوجهن ولم يرزق من قبل طفلاً .

- خرج إلى الحج وخرج معه في هذا العام الأمير قُرْضَة الشريف "حارس الحرمين" وحامل مفتاح الروضة الشريفة وكان لُقْرُضَة ابنة جميلة ومتعلمة رفضت كل من تقدم لخطبتها اسمها خضرة.

- تراقب خضرة الأمير رزق وسهره على القوافل طوال الطريق فتعجب بخلقه وشهامته رغم فارق العمر بينهما فتسأل أباهما أن يدعوا الفارس ومن معه إلى تناول الغداء في داره.

- تتحقق النبوءة ويقترن الأمير رزق بخضرة ويعود بها إلى نجد ويفرح الجميع وتنجب له ابنته "شبيحة" ، ثم تتوقف عن الإنجاب أحد عشر عاماً ويصيب اليأس قلب فارس هلال الكبير ويبدأ شجاره مع زوجته.

- تتجده خضرة مع نساء بني هلال إلى "بركة الطيرة" وهي بركة للأمنيات تنزل عليها الطيور كل نوع ولون وتتمنى النساء طفلا من صفات الطيور.
- تُعجب خضرة بطائر أسود قهر جميع الطيور فتتمنى أن يهبها الله طفلا يحمل صفات ذلك الطائر. وتنجب الثمانين امرأة اللاتي حضرن إلى البركة في نفس اليوم ثمانين طفلا وتنجب خضرة طفلا في لون الغراب الأسود.
- "ويوم السبع" يكشف عن وجه الطفل الأسود لتظهر فضيحة وتتهم خضرة بتهمة الزنا مع عبد أسود ويُقرر طرد خضرة من منازل هلال وتطالب خضرة بنصيب ابنها من مال أبيه ويقف إلى جوارها السلطان سرحان وينحاز لها "سيدنا الخضر" في هيئة رجل نحيل فقير فيرسل الرمح في الهواء لينزل بعد أن يأخذ كل مال رزق وجانب من مال السلطان سرحان من إبل وحيول.
- تقود خضرة وعبدتها "سعيدة بنت سنار" التي أنجبت هي أيضا في ليلة الثمانين طفل وتحمل كلاتهن طفليهما وفي الطريق يتعرضان لهجوم "عطوان العقيلي" وعصابته الذي أراد أن يمارس الفاحشة معها.
- يتم لها النجاة على يد الفارس سلمان ابن عم "عطوان" وتواصل خضرة وجاريتها سعيدة السير ولكن خضرة ترفض أن تتجه إلى المدينة المنورة حيث دار أبيها خوفا من الفضيحة وتتوقف أمام أبواب مدينة العلامات الحيثالزحلان.
- كان حاكم مدينة العلامات الملك فاضل بن بيسمالزحلان قد رأى رؤية تتعلق بالطفلين فخرج لاستقبالهما فتقرر خضرة الإقامة ببلاده فيخلي لها قصرا من قصور زوجاته ويضم فضل حيول "أبو زيد" إلى حيوله وتحتفظ خضرة بالحمرا فرس ابنها تطعمها بيدها وتدريبها بنفسها انتظارا لليوم المعلوم.
- أتمت خضرة خمس سنوات تحيا في منازل الزحلان في كنف الملك فاضل بن بيسم رئيس أرض العلامات وأرضعت ابنها العلم ودربته على فنون الفروسية وأرسلت إلى الملك فاضل تبلغه رغبته في إلحاق ابنها بمدرسة الأمراء.

- التحق سلامة بالمدرسة وهو يعتقد أنه ابن الملك فاضل وفيها بهر "سلامة" أستاذه بمعرفته وعلمه الغزير لكن تحرش به جودة ابن الأمير سليم أخو الملك فاضل فانتقم منه سلامة أمام أقرانها الذين فروا ليلبغوا الأهل ما حدث وانتصر الملك لسلامة وناصره إذا لم يبدأ بالعيب.

- حرضت أم جودة الشيخ صالح المعلم على سلامة فانقلب عليه وكذب وحن جنون سلامة كيف يكون المعلم كاذبا؟ لكن سعيدة الجارية حرّضت سيدها "سلامة" وسلحته سرًا برأس حربة غرسها في صدر الشيخ صالح العقلي وانتصر الملك لسلامة مرة أخرى فاستعانت زوجة سليم أم جودة بإخوانها وأبناء عمومته من بني عقيل.

- خاض سلامة الطفل حروبه الأولى ضد بني عقيل دون أن يدري أنهم أعداء أهله بني هلال. وقتل "عطوان" الذي تصدى لأمة هي وجاريتها وطلب منها "الفواحش" وقتل جاسر وحرار وداغر وجابل الذي كان يسلط الجن ويأمره.

- قاتل سلامة كل هؤلاء ضد رغبة الملك الفاضل كما أنه هزم فرسان بني هلال ويقتل عمه غير الشقيق الأمير عسقل دون معرفته بالدور الذي لعبه في طرده من قبيلته وهو طفل صغير عمره سبعة أيام.

- وفيما يلي بعض أبيات من شعر الملحمة وفيها أبو زيد الهلالي وهو يقتل عطوان وعمره عشر سنوات.

- عندما وصلوا الميدان

فرح الأسمر ودفع الكحيله (أبو زيد)

التفت بعينه لقي ديوان (خيمة)

مرفوع على راية كحيله

دفع الفرس طارت بيه

لقى عطوان ع الفرش جالس

ورجاله واقفة حواليه

امر .. ونعم المجالس
عطوان التفت بالعين ورأه
قال له: انزل يا ابن الجلايب
أكم مثلك قطعت رجاه
معملش للموت حسايب (حساب)
سلامة قال له أنا عبد ربّي (ربي)
صادق .. مصلي ... وفاضل
أنت كلب على غير مُرباي (عديم التربية)
اسمي سلامة وأنا ابن فاضل
أنا ابن ملك الزحالين
أدى الحرب وانزل معايا
نشوف العبد والسيد مين
لابكى عليك الولايا
سعيدة ندهت على أسمر اللون
وقالت له سري في أيدي (سأبوح لك بالسر)
يا سيدي روق نفسك
أهو ده اللي بهدل الوالدة أمك
وطلب منها فعل الفواحش
حلف الأسمر ووثق بإيمان
ما دام أهان عرض الولايا

لأضيق عليه الأكوان

ادى الحرب وينزل معايا

قمصان راكب جنبيه

طفلين اخر نهاية (ليس لهما مثيل)

عطوان قام عرضّ وجاء

راجت حرثته وقلبه خايف

أبو زيد أبصر عمل كيف

أسد واخر خلاصة

ميل على خصمه بالسيف

عزل جثته من رأسه

زعق البطل في العدا صاح

ولوا الجميع ... هارين

رجع من الحرب فرحان

قالت أمه تعيش يا ضنايا

خلاص أصبح القلب فرحان

والدهر زهرة معايا

راجت الأخبار لجاييل (ملك القطيفين) أقسم جاييل وقال: يحرم عل لف عمي لا بد من قتل العبد وطلع معاد داغر وجسار وجاسر ووصلوا إلى وادي الزحلان وكما حدث من قبل مع عطوان حدث مع جاييل وداغر وجاسر وظل الأمير أبو زيد يقاتلهم وواحد بعد واحد "يجندلهم" وفي نهاية الحرب رجع وقال لفاضل وسمع.

وقد تصدى الهاللية لأبي زيد دون أن يعرف أنها قبيلته

وضربت طبول الحروب
وظهر عسقل بن نايل
سلامة برز له .. وجاه
عسقل قال له : ارمى سلاحك
عبد وطفل لا أصل .. ولا جاه
الجارية لما خدت بال
مين عسقل .. تخبت وراحت
قالت لسلامة .. أنا عندي سؤال
ما دام ريحة الدم فاحت
قالت له: يا سيدي روق دمك
الحق قاعد .. ما راحش
أهو ده اللي بهدل الوالدة أمك
واتهمها في أمر الفواحش
وبرز له .. تحلف أسدين
وأبو زيد سوى العجايب
ميل عليه طعنه بالسيف
جات له .. في فرش الكلاوي

وجذبه الفتى من فوق سرجه على الأرض رماه يشخر ويموت وانطلقت النسا بعد السكوت
غنوا وعلوا الزغاريد تسلم لنا يا سلامة ياللي زيك ما خلقت بنت . ألفين حمد الله على السلامة .

التحليل البنائي للملحمة عند ليفي ستروس
الميثيمات الأساسية:-

- زواج رزق بن جرامون بن عامر بن هلال بخضرة الشريفة .
- أنجبت خضرة له ابنة اسمها "شيحة" ثم استمرت دون إنجاب لفترة طويلة.
- ثم خرجت إلى "بركة الطيرة" وأعجبها طائر أسود قوي استطاع أن ينتصر على الطيور وتمنيت أن ينجبها الله مثل صفات هذا الطائر .
- أنجبت طفلا وفي يوم السبوع عند الكشف عن وجهه الأسود أصبحت فضيحة للأم واتهمت في عرضها.
- تعرضت خضرة للأذى والطرود على يد أخي زوجها غير الشقيق عسقل .
- وفي طريقها إلى المدينة المنورة تعرض لها عطوان وأراد أن يرتكب معها الفواحش ولكن الفارس سليمان ابن عم عطوان تصدى له وأنقذها منه .
- مرت هي وابنها وعبدتها سعيدة بنت سنار بمدينة العلامات فاستقبلهم الملك فاضل بن ببسمالزحلان وأنزلهما في قصر حيث رأى في المنام أسدين يدافعان عنه هما طفل خضرة وطفل سعيدة.
- ربّت خضرة طفلها على حب العلم والفروسية منذ صغره .
- استطاع أبو زيد وهو صغير أن يقاتل بشجاعة فقتل عطوان الذي تعرض لأمه وطلب منها الفواحش وقتل جاسر وجسار وغيرهما رغم شجاعتهم وقوتهم وهو صغير كما قتل عسقل عندما هاجم بجيش كبير أبا زيد .

التحليل البنائي الرباعي بالأعمدة للملحمة

العمود الأول	العمود الثاني	العمود الثالث	العمود الرابع
علاقات القرابة	علاقات العداة	الحيوانات	الوصف
رزق الهاللي واقترانه بخضرة وأنجبت شيحة . والابن الأسود	الأمير عسقلأخو الأمير رزق وعداؤه لخضرة وللابن سلامة عطوان ابن العقيلي	الإبل، الخيول، فرس أبي زيد الحمراء	وصفت خضرة بالجمال والأخلاق والعلم سواد أبي زيد مثل الغراب الأسود.

قوة وشجاعة أبي زيد وهو صغير وتفوقه علماً لأبطال وانتصاره عليهم	وعصابتها جليل، جسار وجاسر وعداؤهم لأبي زيد	(أبو زيد) وعلاقته بأمه خضرة. اعتراف الاب بالابن بعد ذلك
--	--	---

التحليل السداسي عند ألان داندوس للملحمة

ملحمة أبي زيد الهلالي	الموتيفات البنائية
حاجة الأمير رزق للإنجاب رغم غناه	الافتقار
التزوج من خضرة	التحول
رفض اعتراف الأمير رزق بابنه الأسود	المنع والتحریم
انتهاك الأمير رزق علاقات الأبوة والرحمة	الانتهاك
طرد الأم وابنها وهو صغير من ديار الهلالية	النتيجة
حاولت خضرة الهرب من الفضيحة وعدم توجهها إلى دار أبيها بالمدينة المنورة	محاولة الهرب

أما النموذج الثالث فهو لبطل أسطوري آخر وهو "نص نصيص" وقد اعتمدنا على المادة الميدانية التي جمعت أثناء دراستنا لمجتمع العريش والذي تمت في عام ١٩٧٩ وهي تعطي أهمية خاصة لبطل آخر صغير السن^(٣٨)

تتلخص أسطورة نص - نصيص وهو بطل أسطوري في أنه سمع أن هناك "غولة" بتأكل الناس وتستمر تخيف الناس في مجتمعه يقرر نص نصيص أن يتحداها "ويبروح" عندها ويغزمرتها بالإبر ضع فيها كمية من الإبر كثيرة فتيجي الغولة تنام تقول "إيه اللي بيغزني في المرتبة"، فترميها.

- يذهب النص نصيص إلى عشة الفراخ ويقلد صوت الديك ولما تيجي الغولة يدخل سيخا في عينها لأنها كانت بعين واحدة فيضربها في العين الثانية فتعجب الغولة فتقول "مال الديك النهاردة عماني".

- بعد كده "نص نصيص" يركب حصانها ويأخذ كل عفش البيت الخاص بالغولة ويرجع لأهله ويقوم لهم سأجيب لكم أمنا الغولة.
- يقوم نص نصيص ويعمل تاجر يبيع البخور واللبان فتنادي عليه الغولة فيقول لها أيوه يا أماه فتعرف صوته وتقوله أنت "نص نصيص" فأنكر ذلك وأخذ يستدرجها وطلب منها أن تقترب بجوار صندوق أعده لها وعندما تقترب بجوار الصندوق يدفعها في الصندوق ويغلقه عليها.
- ويأخذ نص نصيص الغولة إلى أهله ومجتمعه ويحرقها في وجود الناس الذين يقدرّون فعل نصن صيص البطل الصغير الذي خلصهم من عدوهم.
- تحكي الأسطورة من أجل إذكاء روح الدفاع والبطولة بين أبناء الشعب وقد تكون الغولة رمزا للاستعمار الإسرائيلي البغيض أو لأي قوى أخرى يجب ظهور البطل الذي يتغلب عليها.

التحليل البنائي عند ليفي سترانس لأسطورة البطل نص نصيص

١- الميثيمات الأبناء عرئيسية:

- ظهور الرعب في المجتمع لوجود الغولة.
- قيام الغولة بقتل الأبرياء والضعفاء من الناس.
- ظهور البطل الأسطوري الصغير "نص نصيص".
- محاولة إنقاذ أهله ومجتمعه من بطش الغولة.
- استطاع البطل أن يقتل الغولة والحصول على ممتلكاتها وحصانها.
- حرق الغولة في المجتمع أمام الأهل وتقديرهم للبطل نص نصيص

أولاً: التحليل الرباعي بالأعمدة

العمود الأول	العمود الثاني	العمود الثالث	العمود الرابع
علاقات القرابة	علاقات العداة	الحيوانات	الوصف
نص نصيص وأقاربه وأهله	الغولة وقتلها للناس والفتك بهم نص نصيص وتخليصه لمجتمعهم الغولة.	الحصان الديك	بطولة النص نصيص التي لا حدود لها. الشكل القبيح للغولة بعين واحدة يفتأ البطل العين الثانية للغولة.

ثانياً: التحليل البنائي السداسي عند الأنداندوس

الموتيفاتالبنائية	أسطورة البطل نص نصيص
الافتقار	حاجة المجتمع للأمن لوجود الغولة
التحول	تصدي البطل نص نصيص للغولة
المنع والتحریم	قيام الغولة بقتل الناس
الانتهاك	انتهاك حرمة الناس والقضاء على أعضاء المجتمع
النتيجة	تصدي البطل نص نصيص وقتله للغولة
محاولة الهرب	حاولت الغولة الهرب من أيدي نص نصيص لكنه دفعها إلى الصندوق الذي أعده لذلك.

(٦)

يعد البطل الأسطوري أو البطل الملحمي "بطلاً حضارياً حقيقياً أو أسطورياً يقوم بعمل بطولي فذ. وينتج عنه تحقيق إنجاز حضاري مهم لمجتمعه بمحاربة الاستعمار أو القوى المعتدية وقد يسيطر البطل على مجريات الأمور ويكون مسئولاً عن مجتمعه يعيش من أجله . ودائماً ما تنتظر الشعوب هذا البطل أو تفتش في تراثها الشعبي حتى تجد النموذج له.

ويعتقد الشعب أن البطل الأسطوري يتمتع بقوى خفية تنتسب إليها كل عمل خارق **Supernatural**، وبعض أعضاء الشعب لا يستطيع فهمه ولا يقدر على مغالته ولا السيطرة عليه وقد يظن البعض أن قوة البطل قوة غير طبيعية ذات قدرة على فعل الخير وإنزال الشر والتحكم في حياة الناس ومصائرهم. وقد تكون قوة البطل إلهية أو مستمدة من قوة شخصيته وعزيمته فكثير من الأبطال الأسطوريين من يتمتع بقدرات كارزمية خارقة.

وإذا كان في هذه الورقة قد عرضنا لثلاثة نماذج من أبطال أسطورية وملحمية كان الهدف هو تأثيرهم على الشخصية القومية في مجتمعات عاشوا فيها ،وفي توجيه دعوة لتنقية التراث الشعبي من بعض الجوانب السلبية والاستفادة من الجوانب الإيجابية منه في عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية وبناء الشخصية وأيضاً في إذكاء روح البطولة والإقدام الموجود عند الأبطال الأسطوريين والملحميين وفي إحداث التغير في الشخصية المصرية بما يتواءم مع التغيرات التي تحيط بنا. فالعالم يتغير من حولنا بسرعة رهيبية لا وقت معها لانتظار البطل القادم والمحقق للطموحات والآمال ولكن علينا أن نفتش عليه داخلنا وفي ثقافتنا وتراثنا الشعبي.

تم

المراجع والهوامش:

(1) **Strauss L. structura structural Anthropology, tran. by Claire, jacobson and Broke Grundfest, Penguin Books 1972pp 210-211**

(٢) فاروق مصطفى: "الحكايات الشعبية دراسة أنثربولوجية" في المقدمة ودراسات في علم الإنسان (الانثربولوجيا) فاروق مصطفى وآخرون دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ ص ٢٢٧

(3) **Kirk, S.G Myth, Cambridge university press G.B 1974p 41**

(4) **Dundes, A. "structural typology in North American Indian Folktales" in the study of Folklore pp. 206-215**

(5) **All port, GW.,pattern and Growth in personality 1952p 28**

(٦) مصطفى زيور "شخصية" معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ ص ٣٣٢

(٧) **Stanger :Phschology 1952p75**

(٨) مصطفى زيور مرجع سابق ص ٣٣٥.

(٩) شاكِر سليم قاموس الانثربولوجيا جامعة الكويت ١٩٨١ ص ٧٣٣

(١٠) مصطفى سوف "بناء أساسي للشخصية" في معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ ص ١٠٠

(11) **George A.Devos "National character" in I.E.S.S vol. 11p.14**

(١٢) مصطفى سويف مقدمة لعلم النفس الاجتماعي الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ ص ٤٠٦

(١٣) سامية الساعاتي الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي في بيروت دار النهضة العربية ١٩٨٣ ص ٢٤٩

(١٤) أحمد زايد المصري المعاصر مقارنة نظرية وأمريكية لبعض أبعاد الشخصية القومية

المصرية القاهرة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٩٠ ص ١١

(١٥) حسن شحاتة سعفان أسطورة "Lengand" في معجم العلوم الاجتماعية ١٩٩٥ ص

٣٨

(١٦) حسن شحاتة سعفان مرجع سابق ص ٢٩

(17) Dorson, R. "legends and tall tales" in American Folklore voice of American fun lectures U.S.A, 1974pp 175-177

(١٨) فاروق مصطفى مرجع سابق ص ٢٠٥

(19) Hook. S.H, Middle Eastern Mithology a Pelican Book 1978pp 15-16

(٢٠) شاکر سليم مرجع سابق ص ٣٠٧

(٢١) أحمد أبو زيد "الملاحم كتاريخ وثقافة" دراسات في الإنسان والمجتمع والثقافة ج ٢

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٩٦ ص ١٠٠١ - ص ١٠٠٢

(22) "Epic" in Cassell's Ency .of Litratre vol 1 Cassell &co London 1953 p193

(٢٣) فاروق مصطفى مرجع سابق ص ٣٠٧

(24) Vansina. J, oral tradition tr.by H.M Wright ,Penguin Book 1973

(٢٥) انظر في ذلك:

_Dixon. R&D Swanton, JR, American Anthropologist vol 61 p376

_Lowie R. American Anthropology gist vol 17p598

(26) Vansina ,J op.cit.p.10-p.11

(٢٧) يعيش شعب اليوروبا **yorupa** في المنطقة الغربية من نيجيريا وهم قرويون يزرعون نبات اليام والذرة والكاكاو ويمتلك معظم الأراضي الزراعية وتحكي الأساطير بأنهم كانوا يعيشون على الصيد والقتال قبل الزراعة وأن الجد الأكبر **Erinle** قام بأعمال بطولية شجاعة، وما زالت بطولاته وحروبه تذكر حتى الآن وهذا ما أكده باير في دراسته راجع.

_Beier W, the Story of Scared Wood Carvings ,Nigeria,M Lagos 1959.

(28) **Malinowski, B. "Myth in primitive Psychology " in Magic, Science and Religion and other Essays, a Doubleday Anchor Book N.Y P.98 .**

(٢٩) أحمد أبو زيد مرجع سابق ص ١٠٠٩ - ص ١٠١٦ .

(30) **Malinowski, B, ibid p. 146.**

(٣١) صمويل نوح كريم : أساطير العالم القديم الترجمة العربية د . أحمد عبد الحميد الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ ص ٥٥

(٣٢) فاروق مصطفى الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي - دراسة ميدانية دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٨ ص ١٥٢ .

(33) **Gay, E, Swanson " Orpheus and star Husband Meaning and the structure of Myths " in Ethnology , April 1976 Vol xv. NO . 21 PP. 115-117**

(٣٤) صمويل نوح كريم نفس المرجح ص ٣٠

(٣٥) صمويل نوح كريم مرجع سابق ص ٦١

(36) **Malinowski op. cit p 14.**

(٣٧) عبد الرحمن الأنودي السيرة الهاللية الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢

(٣٨) فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوى عثمان دراسات فى التراث الشعبى دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٨ ص ٢٢١ .

